

## شرح فقرة من دعاء عرفة

تحقيق: فارس حسون كريم

تأليف السيد ماجد بن إبراهيم الحسيني الكاشاني - من أعلام القرن الثاني عشر -

الحمد لله سامع الدعاء، ودافع البلاء، ومفيض الضياء، وكاشف الظلماء،  
وباسط الرجاء، وسابغ النعماء، ومجزل العطاء، ومردف الآلاء، حمداً يكا في نعمه،  
ويوا في مننه، ويوجب مزیده.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وسيد الأصفياء، الحجّة على من في  
الأرض والسماء، وعلى آله الفائزين بخلوص الانتماء، ووجوب الاقتداء، صلاة  
باقية إلى يوم البعث والجزاء.

وبعد: حقيقة لا شك فيها: أنّ تراث الدعاء الأثيل والخالد لمدرسة أهل  
البيت عليهم السلام منهل عذب، قد ضمّ من عيون الدرر ما لا يمكن جردها وحصرها،  
ولا سيما أنّ الذي قد أرسى أسس هذا التراث الضخم سيّدنا خاتم الرسل،  
وصاحب الحوض والكوثر صلى الله عليه وآله. وتبعه باب مدينة علومه وحكمته سيّد

الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما يتجلى ذلك في دعاءه: «دعاء الصباح» و «دعاء كميل بن زياد عليه السلام» وغيرها. ومن ثمّ ابنه قتيل العبرات، وأسير الكربات، سيّد الشهداء من الأوّلين والآخريّن الحسين بن عليّ عليه السلام كما يتجلى ذلك في دعائه في يوم عرفة - وهو موضوع كتابنا هذا - وسائر أدعيته عليه السلام.

وأما الذي أغناه، وأبدى به اهتماماً خاصاً، فهو إمام العارفين، وقائد الزاهدين، وسيّد الساجدين، وزين العابدين، ذو الثغفات، ورابع أئمة بيت العصمة والطهارة عليهم السلام. فقد أبدع في إنشاء جملة وافرة من الأدعية، والأحراز الشهيرة، أضحت خير زاد يتقوى به عليّ مواصلة الطريق المؤدّي إلى مرضاة الله - تعالى -. ولقد تركت أثرها البارز في إرساء دعائم المجتمع الإسلامي، وتنزيهه من الشوائب، في مرحلة هي من أقسى وأحلك المراحل التي مرّت بها الأمة الإسلاميّة بعد شهادة أبيه الحسين عليه السلام، خلال النصف الثاني من القرن الأوّل، ومن أجل ذلك سميت بإنجيل أهل البيت عليهم السلام، وبزبور آل محمد عليهم السلام <sup>(١)</sup>.

### ترجمة المؤلف (٢)

اسمه:

هو السيّد ماجد بن السيّد إبراهيم الحسيني الكاشاني، كان فاضلاً، أديباً، حكيماً، فقيهاً، أريباً.

حفيده:

العالم المتّقّي الحاج السيّد محمد تقي بن المير عبد الحيّ بن إبراهيم بن السيّد ماجد بن إبراهيم البشت مشهدي الحسيني الكاشاني، من أعظم علماء عصره،



ومن تلامذة صاحب «رياض المسائل»<sup>(٣)</sup>، توفي سنة «١٢٥٨ هـ»<sup>(٤)</sup>.

#### معاصره:

الميرزا إبراهيم بن الميرزا غياث الدين محمد الإصفهاني الخوزاني - قاضي اصفهان، ثم قاضي عسكر السلطان نادر شاه -، المتوفى سنة «١١٦٠ هـ»، كتب رسالة في الغناء في الردّ على رسالة السيّد ماجد<sup>(٥)</sup>.

#### مؤلفاته:

- ١- «إيقاظ النائمين وإيعاظ الجاهلين».
- رسالة في أحكام الغناء وموضوعه وإثبات حرمة، في مقدّمة ومقصدتين، المقدّمة في مسائل من علوم مختلفة يحتاج إليها في أبحاث الرسالة<sup>(٦)</sup>.
- قال الملا حبيب في لباب الألقاب: له رسالة في تحقيق الغناء، وحواشٍ على الإشارات والشفاء - على ما حكاها بعض أسباطه -، وقد نقلنا بعض كلماته في رسالتنا التي أفردناها لهذه المسألة<sup>(٧)</sup>.
- ٢- «تخلّل السكون بين الحركتين».
- بحث عن آراء المشائين من الفلاسفة ومذهب ابن سينا في الموضوع، ويذهب المؤلّف إلى أنّ تخلّل السكون بين الحركتين جائز<sup>(٨)</sup>.
- ٣- «التخلّل والتكاثف الحقيقيّان».
- يستدلّ المؤلّف في هذه الرسالة المختصرة على إمكان التخلّل بين الشيين أو التكاثف فيهما، وهو بحث فلسفي كتبه في جواب المنكرين للموضوع<sup>(٩)</sup>.
- ٤- «التشكيك في الذاتيات».
- ردّ على من ذهب إلى نفي الذاتيات، وبيان أنّها من أيّ المعقولات هي<sup>(١٠)</sup>.

٥- «شرح دعاء عرفة».

وهو هذا الكتاب، وسيأتي التعريف به.

٦- «ماهية الزاوية».

تحقيق دقيق حول حقيقة الزاوية، وماهيتها المعروفة في الكتب بمختلف التعاريف<sup>(١١)</sup>.

٧- «نفي الهيولى».

يثبت المؤلف أن الهيولى ليس له وجود في الخارج، ويردّ على الذاهبين إلى أن له وجوداً خارجياً<sup>(١٢)</sup>.

#### مدة حياته:

لم تذكر المصادر التي ترجمت السيد المؤلف عليه السلام تاريخ ولادته، ولا تاريخ وفاته، غير أنه كان حياً سنة «١١٥٢ هـ»، وهو تاريخ تأليفه لكتابه هذا - شرح دعاء عرفة -.

#### التعريف بالكتاب:

روى بشر وبشير ابنا غالب الأسدي، قالوا: كنّا مع الحسين بن علي عليه السلام عشية عرفة، فخرج عليه السلام من فسطاطه متذلاًّ خاشعاً، فجعل يمشي هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل القبلة، ثمّ رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، ثمّ قال: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ، وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ، وَلَا كَصُنْعِهِ صَانِعٌ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْوَاسِعُ - إِلَى أَنْ يَقُولَ: - اَللّٰهُمَّ لَا تَمَكِّرْ بِي وَلَا تَسْتَدْرِجْنِي وَلَا تَخْدَعْ عَنِّي، وَأَدْرَأْ عَنِّي شَرَّ فَسَقَةِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ»، ثمّ رفع رأسه وبصره إلى السماء وعيناه ما طرتان كأنهما مزادتان، وقال



بصوتٍ عالٍ: «يَا أَسْمَعَ السَّمِيعِينَ، يَا أَبْصَرَ النَّاطِرِينَ، وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ - إلى أن يقول: - لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ» وكان يكرّر قوله «يا رب»، وشغل من حضر ممّن كان حوله عن الدعاء لأنفسهم، وأقبلوا على الاستماع له والتأمين على دعائه، ثمّ علت أصواتهم بالبكاء معه، وغربت الشمس وأفاض الناس معه.

أقول: إلى هنا تمّ دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة على ما أورده الكفعمي في كتاب «البلد الأمين»<sup>(١٣)</sup>، وقد تبعه المجلسي في كتاب «زاد المعاد»<sup>(١٤)</sup>.

ولكن زاد السيّد ابن طاووس عليه السلام في كتاب «إقبال الأعمال»<sup>(١٥)</sup> بعد «يا ربّ يا ربّ يا ربّ» هذه الزيادة: «إِلَهِي أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي؟! إِلَهِي أَنَا الْجَاهِلُ فِي عِلْمِي فَكَيْفَ لَا أَكُونُ جَهُولًا فِي جَهْلِي؟! - إلى أن يقول: - هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ، وَكَيْفَ لَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مَحَالٌّ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ؟...». وكتابتنا هذا تناول شرح الجملة الأخيرة «هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ، وَكَيْفَ لَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مَحَالٌّ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ؟» حيث تصدّى المؤلف عليه السلام لرفع التناقض الذي يبدو في هذه القطعة.

#### النسخة المعتمدة في التحقيق:

هي النسخة الخطيّة المحفوظة في خزانة مخطوطات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي في قم المقدّسة، وهي مذكورة في فهرسها ج ١٦ ص ٢٦ ضمن المجموعة رقم ٦٠٢٥ - الكتاب الثالث، ومذكورة أيضاً في التراث العربي في خزانة مخطوطات مكتبة المرعشي ج ٣ ص ٣١٢، والنسخة تقع في ١٠ أوراق كتبت بخطّ فارسي جيّد «نستعليق» - بخطّ تلميذ المؤلف - وعناوينها بارزة بخطّ

النسخ، صفحاتها ذات سطور مختلفة بقياس ٨.٥×١٢.٥ سم، كتبت النسخة في  
المدرسة العمادية بكاشان سنة ١١٥٢ هـ

- صورة الصفحة الأولى من النسخة الخطية -

الحمد لله ذي الطول والإحسان والنعم الجلائل، والصلاة على محمد وآله  
أولي الفواضل والفضائل، الذين جعلت موالاتهم خير بضاعة وأقرب الوسائل.



-صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الخطيّة-

أمّا بعد:

يقول المفتقر إلى الله الغنيّ محمد بن إبراهيم المدعوّ بماجد الحسيني: لقد سألتني بعض أجلة الخلان، وأخصّ الأخوان أن أحرّر شرحاً لكلام سيّد الشهداء - عليه وعلى آبائه السلام - في دعائه ليوم عرفة، وهو: «ها أنا أتوسّل إليك بفقرتي إليك، وكيف لا أتوسّل إليك بما هو محال أن يصلّ

إِيَّكَ» بحيث يدفع أثر التناقض وغيره عنه مما لا يليق بأمثاله ﷺ.

فاعذرت إليه مع ظهور قصور باعث عن كشف جليّات الخفاء عن وجوه أبحار المعاني، ورفع أستار الارتياب عن تلقاء المقاصد المعضلة الأركان والمباني، تارة بضيق البال لتراكم أمواج بحار الأحزان، وأخرى بقلّة المجال لكثرة تواتر نزول أفواج الحداث، فما حلّ موقع القبول وما زاد إلا إعادة المسؤل فأسغت مسؤوله، وأجبت مأموله، وتصدّيت لحله على رأي كلّ فرقة مشتهرة بين الأنام أقوالهم واعتقاداتهم متداولة بين الناس أبلاهم ومدوناتهم بحيث ينطبق على أصولهم وفواعدهم انطباقاً بيّناً، محترزاً عن الردّ والقبول، لا لمخافة الإطناب والإسهاب، بل لانحطاط درجتي عن درجات هؤلاء الأعلام في كلّ باب، مراعيّاً للإيجاز واختصار الكلام، ورتّبته على مقدّمة ومقالات ثلاث:

أما المقدّمة فمشمّلة على فصلين:

الفصل الأوّل: في بيان دأب الأنبياء والأئمّة ﷺ في التضرّع والابتهال، وما

شاكلهما.

اعلم أنّ دأبهم ﷺ فيما ذكرناه في بعض الأوان التشبّث بالأسباب، والتمسك بالوسائل أوّلاً، ثمّ الإعراض عنها أخيراً، مشعراً ببيان فساده لوجهين: أمّا أوّلاً: فلكونه بمنزلة الاستدلال على كون المحتاج إليه هو الله - سبحانه - ، وأنّ لا مؤثّر في الوجود إلا وينتهي إليه، فهو المؤثّر بالذات، ومسبّب الأسباب، فإنّ المطلوب المستدلّ عليه أوقع قبولاً من غيره، فأمثال هذه منهم بمنزلة القياس الاستثنائي، ولذا قال كثير من المفسّرين: <sup>(١٦)</sup> إنّ قول إبراهيم - على نبينا وآله وعليه السلام - ربوبيّة الكواكب مستدلّاً عليها بالإنارة والضياء والكبر أوّلاً، ثمّ الرجوع عنه مستدلّاً بالأفول أخيراً، إنّما صدر عنه ﷺ عمداً عالماً بعدم ربوبيّتها في كلا الحالين لوجوب عصمة الأنبياء ﷺ عن الشرك قبل البعثة





أيضاً.

وأما ثانياً: فللاشعار بتفاوت مراتب التنزيه المسبب عن تفاوت درجات مراتب المعرفة وترتبها، والإشارة إلى أن من بلوغ المرتبة العليا يُعلم عدم جواز الرجوع إلى المرتبة الدنيا، وأن ما يصل به العالم إلى نعيم قربه - تعالى - سبب لبعده الأعلم منه أن جعله وسيلة، ألا ترى أنه - سبحانه - قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنِي نَعِيمٍ﴾ (١٧)؟

وقد ورد في الخبر: «إنَّ حسنات الأبرار سيئات المقربين».

الفصل الثاني: في تحقيق معنى الفقر.

قد اختلفت الآراء في تحقيقه، فجعله بعضهم ضد الغنى، وحكم بكونهما أمرين وجوديين.

وقال بعضهم بكون الغنى عدم ملكة الفقر، فحكم بكون التقابل بينهما تقابل العدم والملكية.

والحق عكس الثاني، وما قيل في تعريف الغنى من أنه عدم الحاجة فتعريف له يلزمه لا تحديده، لأن الفقر بحسب النظر الدقيق ليس إلا فقد الكمال مطلقاً، أو ما يوصل إليه.

وبالجمله كل ما يكون وجوده شيء أولى من عدمه له فعدمه له من حيث هو كذلك نفس فقره، وفاقده من هذه الحيثية فقير وإن كان غنياً باعتبار وجود أمر آخر كمال له من جهة أخرى، كما أن الجاهل فقير لفقدان العلم الذي هو كمال لنفسه، وغني بحسب وجود الشيع مثلاً الذي هو كمال لبدنه، أو ما يتوصل به إليه، فالفقر نفس العدم، والغنى عين الوجود، فإن كان الوجود ذاتياً للشيء يكون غنياً بالذات، وإن كان من غيره يكون فقيراً بالذات غنياً بالغير، فالغنى بالذات هو الله - سبحانه -، وما سواه فقير إليه مطلقاً.

## المقالة الأولى:

### في حلّه على طريقة الصوفيّة (١٨)

وهو موقوف على بيان مقدّمة، وهي أنّ الفرق بين الواجب والممكن عندهم بالإطلاق والتقييد، ويعبرون عنه بالتعيين، ويقولون: هو أمر اعتباري لا حقيقي، ويعنون من الاعتباري ما لا يتّصف بالوجود، فالكثرة وما يلزمها من الغيريّة أمور اعتباريّة غير موجودة؛ لأنّ الوجود بما هو وجود لا يقبل الكثرة، فالأمر الحقيقي هو الوجود المطلق، وهو عين حقيقة الواجبيّة، وما يعرضه من التعيّنات أمور اعتباريّة، فالواجب هو الوجود المطلق، والمراد منه الوجود اللّابشرط لا المقيّد بقيد الإطلاق، لأنّ كلّ قيد عندهم اعتباري، والممكن هو



الوجود المتعيّن لكن لا بما هو موجود، بل بما هو متعيّن، فالفقر عندهم هو نفس التعيّنات الاعتباريّة؛ لأنّها إعدام صرفه كما عرفت.

وإذا تمّهت هذه نقول: حلّ كلامه عليه السلام على رأيهم: أنّه أراد أن يشير إلى بيان مراتب قرب السالكين إلى الله، والسائرين إليه، وترتّب درجاته، وتفاوت مراتبه وغير المرتبة العليا من القرب الذي هو الوصول من المراتب التي وقعت في البين إنّما يحصل للمتمسّكين بالوسائل، وتختلف مراتب قربهم حسب اختلاف الوسائل قوّة وضعفاً، وهي من الكثرة بحيث لا يكاد تنضب، ولا شك أنّ أقوى الوسائل هو ما يجده المتوسّل من نفسه، لأنّ الوسيلة إذا كانت ذاتيّة يكون أتمّ وأقوى منها إذا كانت خارجيّة.

فأشار عليه السلام في الفقرة الأولى إلى هذا المقام وجوب الفقر الذي نفس التعيّن وسيلة للقرب، وعلّة محوّة إليه ضرورة احتياج المقيد إلى المطلق، فعناها: ها أنا أتوسّل بسبب تعيّن وهويّتي إليك، وهذا القرب المطلق هو القرب الذي لم يبلغ درجة الوصول لكون الوسيلة فاصلة بين المتوسّل والمتوسّل إليه، والسالك في هذا المقام ملاحظ لنفسه فارق بينها وبين الذات الأحديّة، وكمال القرب هو الاتّصال الذي عبارة عن ملاحظة العبد عينه متّصلاً بالوجود الأحدي بقطع النظر عن تعيّن وجوده، وإسقاط إضافته إليه حتّى يبقى موجوداً به، ولا يرى إلاّ واحداً كما قال قائلهم:

در چنین حال دیده بگشاید      در نظر جز یکیش ننماید  
ولا شك أنّ هذه المرتبة لا تحصل للعبد ما دام ملاحظاً لنفسه إذ لا يمكن أن يصل غبار التعيّن إلى ذيل جلال الإطلاق، فانقطع عن الوسيلة التي هي سبب للقرب المفصول طالباً للقرب الذي هو الاتّصال، وقال: كيف أتوسّل بما هو محال أن يصل إليك؟

المقالة الثانية:

في حله على دأب الأشاعرة<sup>(١٩)</sup>

وهو موقوف على بيان مقدمتين مترتبتين:

الأولى: انّ ما يصدر عنه - تعالى - ليس على سبيل الإيجاب بمعنى امتناع انفكاك الأثر عن الذات كما يقول به الحكماء، ولا على سبيل الوجوب العقلي كما يقول به المعتزلة<sup>(٢٠)</sup>، بل كلّ ما يصدر عنه - تعالى - يصدر بالقدرة والاختيار، بمعنى صحّة الفعل والترك مطلقاً، سواء كان بالنظر إلى ذاته كما يوافقهم فيه جمهور المعتزلة، أو بالنظر إلى غيره بخلاف ما ذهب إليه المعتزلة من عدم صحّة الترك بالنظر إلى الداعي والعلم بالأصلح.

وبنوا على هذه المقدمة أنّ فعله - تعالى - ليس لغاية ولا عرض، بل نفس إرادته القديمة كافية في صدور الفعل من غير إفـضائه إلى الإيجاب والوجوب المذكورين.

الثانية: أنّ لا مدخلية لشيء من الأشياء في وجود أمر من الأمور، ولا في عدمها بنحو من الأنحاء حتّى أنّهم نفوا ربط الشرطيّة واللزوم والآلية وغيرها بين الأشياء بعضها بالنسبة إلى بعض.

وبالجملة نفوا افتقارها إلى ما سوى الله مطلقاً حتّى حكموا بعدم افتقار العرض إلى الموضوع، وما يرى في الوجود من الارتباط بين الأشياء ليس ارتباطاً ذاتياً، بل هو ممّا جرت سنّته - تعالى - عليه.

وبنوا على هذه المقدمة جواز تعذيب المطيع، وإثابة العاصي منه - تعالى - لعدم مدخلية الإطاعة والعصيان في الثواب والعقاب، لكن جرت سنّته بإثابة المطيع، وتعذيب العاصي ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾<sup>(٢١)</sup>، فكّل ما يصل من الله إلى العبد من الخير والثواب تفضّل منه - سبحانه - لأهليّة العبد واستحقاقه.



إذا تمهدت هذه نقول: على وفق قواعدهم المذكورة: **إِنَّهُ عَلِيمٌ** لما علم جريان سنته بإفاضة الخير والجود عند تمسك العبد بالوسائل - وكان من أعظم الوسائل هو الفقر -، قال: «ها أنا أتوسل إليك بفقرتي إليك». ولما كان هذا موهماً كونه مستحقاً المسؤول بهذه الوسيلة، وأن لها أثراً في فعله - تعالى - نفاه بقوله: «وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك؟» نافياً كونه مؤثراً، مثبتاً قدرته واختياره - سبحانه - في كلا الحالين، فأثبت كونه وسيلة بحسب عادة الله وسنته، ونفى كونه وسيلة مؤثرة بحسب الواقع لعدم إمكان التأثير من غيره - تعالى - فارتفع الاشكال واندفع التناقض.

### المقالة الثالثة:

#### في حله على رأي الحكماء

ويتوقف بيانه على مقدمتين:

إحداهما: أن الممكن بما هو ممكن زوج تركيبى؛ لأن كونه ليس من ذاته غير كونه من فاعله، وهو مركب الحقيقة منهما، وهذا هو المراد من قولهم: الممكن في حد ذاته ليس وبفاعله بصير، أي فكل ممكن مشتمل على هاتين الجهتين، ويعبرون عن هذا العدم بالعدم الذاتي بمعنى عدم الاقتضاء، ويحكمون باجتماعه مع الوجود الفأض من العلة، ولا يلزم اجتماع النقيضين لاختلاف الإضافة، فجميع الممكنات معدومة في حدود ذواتها، موجودة بفاعلهما.

الثانية: أنه لا بد من مناسبة بين العلة والمعلول مطلقاً، سواء كانت العلة من العلل الذاتية أو العرضية، وإلا لجاز استناد كل شيء إلى كل شيء، ويكون كل شيء مصدراً لكل شيء، وما يرى في الوجود من الاختصاص (٢٢) يكون ترجيحاً من غير مرجح، وهو محال، فتعين ضرورة المناسبة.

إذا تقرّرت هذه فنقول: حلّه على رأيهم أنّه ﷺ أراد أن يشير إلى أنّه - تعالى - كما يعطي الوجود الذي هو أعلم الكمالات، وأجلّ النعم إذ به ينال العبد كلّ خير وكمال، ولذّة ووصال، وبه يصل إلى سعادة الدارين، ومقاصد النشأتين، إذ لا يمكن أن يكون للمعدوم بما هو معدوم خير وسعادة ضرورة توقف الكمالات الثابتة، وما يتفرّع عليها على الكمال الأوّل الذي هو أصل آنيته، إذ به يظهر ماهيته وما يتفرّع عليها من خواصّه واعراضه، كذلك يعطي الوسائل إلى تحصيل السعادات، واستفاضة الخيرات، فجوده منوط بجوده، ورحمته مرتبطة برحمته.

وهذا غاية التنزيه، وكمال التوحيد، ونفي الشرك الخفيّ الذي لا ينفكّ عنه إلا الخائضون في قمامس<sup>(٢٣)</sup> أنوار معرفته، والغائضون في بحار آثار قدرته. ولنعم ما قلت في أثناء تحرير هذا المقام:

يا من تحقّق وجود العالمين من وجودك  
من ذرّة جودك وكرمك طهر الخلق  
جاهلون بذاتك نحن، وكلّ ما نعلمه عنك هي معرفتنا بآثارك  
لقد مزجت فيض الأزل بالعدم  
وبعثت إلى الوجود عالم الآثار  
الثرى إثر فيضك وإحسانك غداً وجهاً صبوحاً<sup>(٢٤)</sup>  
علقة الدم غدت قلباً عارفاً<sup>(٢٥)</sup>  
كلّ قطرة هي من بحرك  
كما الشمس التي هي ذرّة تجوب المدار  
الذهب بصفائه ولونه الزاهي منك  
قدرة قبضة الأسد منك



الطمأنينة والعذاب والحزن والأمل  
كلّ ما له وجود فهو منك يا كريم  
أفصح كليتك عن هذا السرّ  
وأنطق بلسان العجز والسؤال  
لقد هجرَ الإيمان قلب السامريّ  
لأنّ لا أحد غيرك يهب الجسد روحاً (٢٦)(٢٧)

والوسيلة إلى قرب جنابه - سبحانه - إمّا أن تكون من ذات العبد الذي ليس أثراً لجعل الفاعل - أعني العدم الذاتي - المعبر عنه بالفقر في كلامه ﷺ أو من الله - تعالى - أعني الوجود الفاضل منه - سبحانه - مطلقاً، سواء كان جزء ذات العبد المتوسّل كما عرفت في المقدّمة الأولى، أو جزء ذات غيره، فإذا بطل صلوح كون الأوّل وسيلة تعيّن الثاني لامتناع الوساطة بين النفي والإثبات.

ولمّا كان الفقر مناسباً بالذات المتوسّل لضرورة مناسبة الذاتي لما هو ذاتي له، فيتوهم صلوح كونه وسيلة أشار إليه ﷺ في الفقرة الأولى بقوله: «ها أنا أتوسّل إليك بفقرتي إليك».

ولمّا كان من شرط الوسيلة أن تكون مناسبة للطرفين - أعني المتوسّل والمتوسّل إليه - والفقر لا يناسب الغناء المطلق والإمكان أبعد من أن يصل إلى حضرة الحقّ أشار إليه ﷺ في الفقرة الثانية بقوله: «وكيف أتوسّل إليك بما هو محال أن يصل إليك؟».

فهذا الكلام منه ﷺ بمنزلة القياس الاستثنائي كما علمت في مقدّمة الرسالة، فتعيّن أن يكون الوسيلة أثراً منه - سبحانه - سواء كان جزء ذاته كما عرفت أولاً، ولا يخفى من مناسبة الأوّل للطرفين.

أمّا مناسبته للمتوسّل فلكونه مظهرًا لهويّته مبيّناً مقتضيات ذاته.

وأما للمتوسّل إليه فلكونه أثراً منه، ولا يخفى ما بين الشيء وأثره من المناسبة، وأما إذا لم يكن جزء ذاته فمناسبتها للمتوسّل إليه بين لكونها أثراً منه، ومناسبته للمتوسّل يعلم بحكم تشابه آثار المؤثر الواحد، بل من حيث اتّحادهما سنخاً.

وبالجمله مراده ﷺ نفي كون وسائل ذاته الإمكانية، وذوات الممكنات من حيث إنّها ممكنات لأنّه لو أمكن هذا لكان الفقر الذاتي الذي ليس أثراً منه - سبحانه - وسيلة وهو محال فتعيّن أن يكون منه - تعالى - سواء كان نفس وجوده الذي هو جزء ذاته أولاً، وهذا لا ينافي ثبوت بعض الآثار لبعض الماهيات دون بعض؛ لأنّ هذه الآثار ليست مستندة إلى إمكانه الذاتي الذي ليس متعلّق الجعل لاشتراكه بين الجميع، فتعيّن استنادها إلى المهية من حيث هي هي، والمهية كما هو الحقّ متعلّق للفعل وأثر للجعل، فصحة كون بعض الأمور وسيلة بحسب الظاهر لحدوث بعض الآثار دون بعض لا ينافي المقصود؛ لأنّه لا يكون من جهة عدمه الذاتي الذي ليس متعلّقاً للجعل وسيلة، بل يكون وسيلة بجهة أخرى، واعتبار آخر، وهو بهذه الجهة والاعتبار أثر منه تعالى.

هذا آخر ما أردنا إيراده، والحمد لله أولاً وآخراً.

تمّت في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر شعبان المعظم سنة ١١٥٢.

### فهرس مصادر التحقيق:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ٣ - إقبال الأعمال للسيد رضي الدين علي بن طاووس، نشر دار الكتب الإسلامية - طهران ١٣٩٠ هـ (طبعة حجرية).
- ٤ - بحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسي، نشر مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ.





- ٥- بحوث في الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني، نشر لجنة إدارة الحوزة العلمية - قم ١٤٠٨ هـ.
- ٦- البلد الأيمن للشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي (طبعة حجرية).
- ٧- بين التصوّف والتشيع لهاشم معروف الحسني، نشر دار القلم - بيروت ١٩٧٩ م.
- ٨- تميم أمل الأمل للشيخ عبد النبي القزويني، نشر مكتبة آية الله المرعشي - قم ١٤٠٧ هـ.
- ٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ آقا بزرك الطهراني، نشر دار الأضواء - بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ١٠- زاد المعاد للعلامة محمد باقر المجلسي (طبعة حجرية).
- ١١- فهرس مخطوطات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - المطبوع بالفارسيّة.
- ١٢- الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة «طبقات أعلام الشيعة» للشيخ آقا بزرك الطهراني، نشر دار المرتضى - مشهد ١٤٠٤ هـ.
- ١٣- الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة «طبقات أعلام الشيعة» للشيخ آقا بزرك الطهراني، نشر جامعة طهران.
- ١٤- لباب الألقاب في ألقاب الأطياب للمولى الآقا ملا حبيب الله الشريف الكاشاني، المتوفى سنة (١٣٤٠ هـ)، نشر مكتبة «أبوذر الجمهري المصطفوي» - سّمّاه في الذريعة ١٨: ٢٧٧ رقم ٩٣: لباب الألباب في ألقاب الأطياب.
- ١٥- لسان العرب لابن منظور الأفريقي المصري، نشر أدب الحوزة - قم ١٤٠٥ هـ.
- ١٦- مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم ١٤٠٣ هـ.
- ١٧- معالم العلماء لابن شهر آشوب المازندراني، المتوفى سنة ٥٨٨، نشر المطبعة الحيدريّة - النجف ١٣٨٠ هـ.
- ١٨- الملل والنحل للشهرستاني، منشورات الرضي - قم ١٣٦٤ هـ. ش.

**الهوامش :**

- (١) أوّل من أطلق هذين الاسمين هو ابن شهر آشوب، المتوفّى سنة (٥٨٨هـ) في معالم العلماء: ١٢٥ و ١٣١ في ترجمة: متوكّل بن عمير بن المتوكّل، ويحيى بن عليّ بن محمد بن الحسين الرقيّ.
- (٢) ترجمه الشيخ آقا بزرگ الطهراني في طبقات أعلام الشيعة - الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة -: ٦٢٨، وترجمه أيضاً الملاً حبيب الله الكاشاني في لباب الألقاب في ألقاب الأقطاب: ٦٣ - ٦٤.
- (٣) هو «رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل» تأليف السيّد علي الطباطبائي، المولود سنة «١١٦١هـ»، والمتوفّى سنة «١٢٣١هـ».
- (٤) طبقات أعلام الشيعة - الكرام البررة -: ٢١٩ رقم ٤٤٨، لباب الألقاب: ٧٤.
- (٥) ذكره في تميم أمل الأمل: ٥٧، طبقات أعلام الشيعة - الكواكب المنتشرة -: ٨ - ١١، أعيان الشيعة ٢: ٢٠٣.
- (٦) الذريعة ٢: ٥٠٥ رقم ١٩٨٠، فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ٢٨/١٦ رقم ٦٠٢٥ الكتاب الثامن.
- (٧) لباب الألقاب: ٦٣ - ٦٤.
- (٨) فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ٢٢١/١٧ رقم ٦٦٥٨.
- (٩) فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ٢٧/١٦ رقم ٦٠٢٥ الكتاب السادس.
- (١٠) فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ٢٩/١٦ رقم ٦٠٢٥ الكتاب التاسع.
- (١١) فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ٢٩/١٦ رقم ٦٠٢٥ الكتاب العاشر.
- (١٢) فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ٢٨/١٦ رقم ٦٠٢٥ الكتاب السابع.
- (١٣) البلد الأمين: ٢٥١ - ٢٥٨ - عنه البحار ٩٨: ٢١٣ ح ٢.
- (١٤) زاد المعاد: ٢٤٨ - ٢٦٨.
- (١٥) إقبال الأعمال: ٣٣٩ - ٣٥٠ - عنه البحار ٩٨: ٢١٤ وعن حاشية البلد الأمين ومصباح الزائر لابن طاووس.
- وقال المجلسي رحمته الله في البحار ٩٨: ٢٢٧ ح ٤: لا توجد هذه الزيادة في بعض النسخ العتيقة من الإقبال، وعبارات هذه الزيادة لا تلائم سياق أدعية السادة المعصومين أيضاً، وإنما هي على وفق مذاق الصوفيّة، ولذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه الزيادة من مزيدات بعض مشايخ الصوفيّة ومن إلحاقاته وإدخالته.
- وبالجملة: فهذه الزيادة إما وقعت من بعضهم، أوّلاً في بعض الكتب، وأخذ ابن طاووس عنه في الإقبال غفلة عن حقيقة الحال، أو وقعت ثانياً من بعضهم في نفس كتاب الإقبال، ولعلّ الثاني أظهر على ما أومأنا إليه من عدم وجدانها في بعض النسخ العتيقة، وفي مصباح الزائر، والله أعلم بحقائق الأحوال. - بتصرّف يسير.
- (١٦) أنظر مثلاً تفسير مجمع البيان للطبرسي ٢: ٣٢٣ - ٣٢٤، ففيه تفصيل واف لما أشار إليه المؤلف رحمته الله.
- (١٧) الانفتار: ١٣ - المطفّفين: ٢٢.



(١٨) فرقة ظهرت في أواسط القرن الثاني أو في النصف الأخير منه؛ قيل: سمّوا بذلك لبسهم الصوف وقد اختاروه لرفضهم زينة الدنيا، واستغراقهم في أمر الآخرة؛ وقيل: لأنهم آثروا الذبول والتواضع والتخفي عن أعين الناس كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التي لا يرغب فيها، فقبل عنهم صوفية نسبة إلى الصوفة المرمية، فتكون نسبة الصوفي إلى الصوفة كنسبة الكوفي إلى الكوفة؛ وقيل: لأنهم في الصف الأول بين يدي الله - عز وجل - بارتفاع همهم وإقبالهم على الله بقلوبهم، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه؛ وقيل ...

وأكثر معتقدات الصوفية وطرقهم لا تلتقي مع ما جاء به الإسلام من قريب أو بعيد، كالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، والحقيقة المحمدية، ونظام الكون، والجنة والنار، وغيرها. ومن أقطابهم: إبراهيم بن أدهم، وحبيب العجمي، وذو النون المصري، وغيرهم. «بين التصوف والتشيع: ٢٨٤ و ٣٣٧ و ٤٨٨».

(١٩) الأشعرية: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري؛ قيل: ولد سنة سبعين ومائتين؛ وقيل: سنة ستين ومائتين بالبصرة، وقد توفي سنة ثمانين وعشرين وثلاثمائة، جدّه الأعلى أبو موسى الأشعري، المتوفى سنة ٤٢؛ وقيل: ٤٤ وهو ابن ثلاث وستين سنة. وإن أبا الحسن هذا كان معتزلياً في بادئ أمره إلا أنه رجع عن الاعتزال بسبب أسئلته التي كان يوجه بها إلى أستاذه المعتزلي أبي علي الجبائي وما كان يجد لها جواباً.

وقد جاء الإمام الأشعري بمنهج معتدل، وقد أعلن أنّ المصدر الرئيس للعقائد هو الكتاب والسنة، وفي الوقت نفسه خالف أهل الحديث - الذين يكتفون بظواهر النصوص والأحاديث - بذلك خاص عن طريق استغلال البراهين العقلية والكلامية على ما جاء في الكتاب والسنة. ومن أعلامهم: القاضي أبو بكر الباقلائي، وأبو منصور عبد القاهر البغدادي، وإمام الحرمين الجويني، وغيرهم. «الملل والنحل للشهرستاني ١: ٨٥، والملل والنحل للسبحاني ٢: ٦-٢٩».

(٢٠) هم الذين كانوا يتمسكون بالعقل أكثر من النقل، ويؤولون النقل إذا وجدوه مخالفاً لفكرتهم وعقليتهم، وكان التشاجر قائماً على قدم وساق بينهم وبين أهل الحديث الذين تعبدوا بظواهر الآيات والروايات من دون غور في مفاهيمها.

قيل: إن سبب تسميتهم هو اعتزالهم عن علي عليه السلام في محاربتة لمخالفه؛ وقيل: اعتزالهم عن الحسن بن علي عليه السلام ومعاوية، وقيل غير ذلك.

من أقطابهم: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وأبو الهذيل العلاف، وأبو علي الجبائي، وغيرهم. «الملل والنحل للسبحاني ٢: ٥، و ٣: ١٥٥-١٨٤».

(٢١) سورة الأحزاب: ٦٢، سورة الفتح: ٢٣.

(٢٢) أي اختصاص بعض الآثار ببعض المؤثرات دون بعض.

(٢٣) القاموس والقومس: قعر البحر؛ وقيل: وسطه ومعظمه؛ وقيل: أبعد موضع غوراً في البحر. «لسان العرب ٦: ١٨٣ - قمس -».

(٢٤ و ٢٥) إشارة إلى قوله - تعالى - في سورة الحج: ٥: «يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة...».

(٢٦) إشارة إلى قوله - تعالى - في سورة طه: ٨٧ و ٨٨: «... فكذاك ألقى السامري • فأخرج لهم عجلاً جسداً

له خُوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴿٢٧﴾ كان المؤلف قد أنشأ شعراً بحدود ١١ بيت باللغة الفارسية، فأثبته بالهامش، وما في المتن هو مدلول هذه الأبيات، وهي:

|                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| ای ز وجود تو وجود همه        | ذره از جود تو بود همه       |
| ما که نداریم ز ذاتت خبر      | از تو چه گوئیم بغیر از اثر  |
| فیض ازل با عدم آمیختی        | عالم آثار برانگیختی         |
| دانه جود تو کشد دم بدم       | طایر دیگر ز شکاف عدم        |
| از تو هوا خلعت تقریر یافت    | نقد سخن قیمت اکسیر یافت     |
| خاک ز فیضت رخ زیبا شده       | قطره خونی دل دانا شده       |
| باز همان قطره ز دریای تست    | ذره خورشید فلک سای تست      |
| قد خم و رنگ زربری ز تو       | قوت سر پنجه شیری ز تو       |
| راحت و رنج و غم و امید و بیم | هر چه بود از تو بود ای کریم |
| کرد کلیمت سر این راز باز     | با تو بگفت از سر عجز و نیاز |
| گر چه شد از سامری ایمان بیاد | جز تو بتمثال کسی جان نداد   |